قوله : (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا : { وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة } وتفسيره على ما أراد ا تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول ا A فهو كما قال ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا فانه ما سلم في دينه إلا من سلم D ولرسوله A ورد علم ما أشتبه عليه إلى عالمه) .

ش : المخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة .

وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس المتنافسون وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون وعن بابه مردودون .

وقد ذكر الشيخ C من الأدلة قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة } وهي من أظهر الأدلة وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلا - : فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص .

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل وحذرنا ا أن نفعل مثلهم وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية فهل قتل عثمان Bه إلا بالتأويل الفاسد ؟ وكذا ما جرى في يوم الجمل وصفين ومقتل الحسين والحرة ؟ وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد ؟ ! .

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه حقيقة موضوعة صريحة في أن ا أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله .

فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه : فإن عدي بنفسه فمعناه : التوقف والإنتظار : { انظرونا نقتبس من نوركم } وإن عدي بـ في فمعناه : التفكر والإعتبار كقوله : { أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض } وإن عدي بـ إلى فمعناه : المعاينة بالأبصار كقوله تعالى : { انظروا إلى ثمره إذا أثمر } فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ [وروى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمرو قال : قال رسول ا A - في قوله تعالى :

{ وجوه يومئذ ناضرة } قال : من البهاء والحسن { إلى ربها ناظرة } قال في وجه ا D] عن الحسن قال : نظرت إلى ربها فنضرت بنوره وقال أبو صالح عن ابن عباس Bهما [{ إلى ربها ناظرة } قال : تنظر إلى وجه ربها D وقال عكرمة : { وجوه يومئذ ناضرة } قال : من النعيم { إلى ربها ناظرة } قال : تنظر إلى ربها نظرا ثم حكى عن ابن عباس مثله] وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث وقال تعالى : { لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد } قال الطبري : قال علي بن أبي طالب و أنس بن مالك : هو النظر إلى وجه ا D وقال تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } فالحسنى : الجنة والزيادة : هي النظر إلى وجهه الكريم فسرها بذلك رسول ا A والصحابة من بعده كما [روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال : قرأ رسول ا A : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة } قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند ا موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر اليه وهي الزيادة] ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر معناها أن الزيادة النظر إلى وجه ا D وكذلك فسرها الصحابة موسى أبو و حذيفة و Bه الصديق بكر أبو : منهم جماعة عن [ذلك] جرير ابن روى همB الاشعري و ابن عباس Bهم .

وقال تعالى : { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } احتج الشافعي C وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي وقال الحاكم : حدثنا الأصم حدثنا الربيع ابن سليمان قال : حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول ا D : { كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون } ؟ فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى .

وأما استدلال المعتزلة بقوله تعالى : { لن تراني } وبقوله تعالى : { لا تدركه الأبصار } - فالآيتان دليل عليهم : .

أما الآية الأولى : فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه : أحدها : أنه لا يظن بكليم ا ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته - أن يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من أعظم المحال الثاني : أن ا لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال : { إني أعظك أن تكون من الجاهلين } الثالث : أنه تعالى قال : { لن تراني } ولم يقل : اني لا أرى أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال : أطعمنيه فالجواب الصحيح : أنه لا يؤكل أما إذا كان طعاما صح أن يقال : إنك لن تأكله وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه : الوجه الرابع :

وهو قوله : { ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني } فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف ؟ الخامس : أن ا سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا وذلك ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا لكان نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام والكل عندهم سواء السادس : قوله تعالى : { فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا } فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لاثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله وأوليائه في دار كرامته ؟ ولكن ا أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف السابع : أن ا كلم موسى وناداه وناجاه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة - فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه وقد جمعوا بينهما وأما دعواهم تأييد النفي بـ لن وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة - : ففاسد فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة فكيف إذا أطلقت ؟ قال تعالى : { ولن يتمنوه أبدا } مع قوله : { ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك } ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك قال تعالى : { فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي } فثبت أن لن لا تقتضي النفي المؤبد .

قال الشيخ جمال الدين ابن مالك C : .

(ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله أردد وسواه فاعضدا) .

وأما الآية الثانية : فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف وهو : أن ا تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية وقهره ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرا ثبوتيا فإن المعدم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه فإن المعنى : أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به فقوله : { لا تدركه الأبصار } يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى : { فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا } فلم ينف موسى الرؤية وإنما نفى الإدراك فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه

فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به علما وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه .

وأما الأحاديث عن النبي A وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن فمنها : [حديث أبي هريرة : أن ناسا قالوا : يا رسول ا هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول ا A : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول ا قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا قال فإنكم ترونه كذلك] الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله [وحديث أبي سعيد الخدري أيضا في الصحيحين نظيره وحديث جرير بن عبد ا البجلي قال : كنا جلوسا مع النبي A فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته] الحديث أخرجاه في الصحيحين [وحديث صهيب المتقدم رواه مسلم وغيره وحديث أبي موسى عن النبي A قال : وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن] أخرجاه في الصحيحين ومن [حديث عدي بن حاتم : وليلقين ا أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقول : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى يا رب فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول بلى يا رب] أخرجه البخاري في صحيحه .

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيا ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها ولولا أني التزمت الأختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث .

ومن أراد الوقوف عليها فليواظب سماع الأحاديث النبوية فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة وأنه فوق العالم وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وأنه يتجلى لعباده وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق وكيف تعلم أصول دين الإسلام من غير كتاب ا وسنة رسوله ؟ وكيف يفسر كتاب ا بغير ما فسره به رسوله A وأصحابه رضوان ا عليهم الذين نزل القرآن بلغتهم ؟ وقد [قال A : من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار] [وفي رواية : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار] وسئل أبو بكر Bه عن قوله تعالى : { وفاكهة وأبا } ما الأب ؟ فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب ا ما لا أعلم ؟ .

وليس تشبيه رؤية ا تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي ولكن فيه دليل على علو ا على خلقه وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة ؟ ومن قال : يرى لا في جهة - فليراجع عقله ! ! فإما أن يكون مكابرا لعقله وفي عقله شيء

وإلا فإذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة .

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية وقالوا : كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جهة وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا لا لامتناع الرؤية فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها لا لامتناع في ذات المرئي بل لعجز الرائي فإذا كان في الدار الآخرة أكمل ا قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته ولهذا لما تجلى ا للجبل : { خر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين } بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده ا كما أيد نبينا قال تعالى : { وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر } قال غير واحد من السلف : لا يطيقون أن يروا الملك في صورته فلو أنزلنا عليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ يشتبه عليهم : هل هو بشر أو ملك ؟ ومن تمام نعمة ا علينا أن بعث فينا رسولا منا .

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه لكن قول من أثبت موجودا يرى لا في جهة - أقرب إلى العقل من قول من أثبت موجودا قائما بنفسه لا يرى ولا في جهة .

ويقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة : أتريد بالجهة أمرا وجوديا ؟ أو أمرا عدميا ؟ فإن أراد بها أمرا وجوديا كان التقرير : كل ما ليس في شيء موجود لا يرى وهذه المقدمة ممنوعة ولا دليل على إثباتها بل هي باطلة فإن سطح العالم يمكن أن يرى وليس العالم في عالم آخر وإن أردت بالجهة أمرا عدميا فالمقدمة الثانية ممنوعة فلا نسلم أنه ليس في جهة بهذا الاعتبار .

وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة وإنما يتلقاه من قول فلان ؟ ! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب ا لا يتلقى تفسير كتاب ا من أحاديث الرسول ولا ينظر فيها ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان المنقول إلينا عن الثقات النقلة الذين تخيرهم النقاد فانهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده بل نقلوا نظمه ومعناه ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان بل يتعلمونه بمعانيه ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين ا ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ لكن إن أصاب يضاعف أجره .

وقوله : والرؤية حق لأهل الجنة تخصيص أهل الجنة بالذكر يفهم منه نفي الرؤية عن غيرهم ولا شك في رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول ا A ويدل عليه قوله تعالى : { تحيتهم يوم يلقونه سلام }

واختلف في رؤية أهل المحشر على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه لا يراه إلا المؤمنون الثاني : يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك الثالث : يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقية الكفار وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف .

واتفقت الأمه على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا A خاصة : منهم من نفى رؤيته بالعين ومنهم من أثبتها له A وحكى القاضي عياض في كتابه الشفا اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته A وإنكار عائشة Bها أن يكون A رأى ربه بعين رأسه وأنها قالت لمسروق حين سألها : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ثم قالت : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قال : وقال جماعة بقول عائشة Bها وهو المشهور عن ابن مسعود و أبي هريرة واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس Bهما : أنه A رآه بعينه وروى عطاء عنه : أنه رآه بقلبه ثم ذكر أقوالا وفوائد ثم قال : وأما وجوبه لنبينا A والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص والمعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن وهذا القول الذي قاله القاضي عياض C هو الحق فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عليه السلام لكن لم يرد نص بأنه A رأى ربه بعين رأسه بل ورد ما يدل على نفي الرؤية وهو [ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر Bه قال : سألت رسول ا A هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى أراه] و في رواية : [رأيت نورا] وقد [روى مسلم أيضا عن أبي موس الاشعري Bه أنه قال : قام فينا رسول ا A بخمس كلمات فقال : إن ا لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور] ([وفي رواية : النار]) [لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه] فيكون - وا أعلم - معنى قوله لأبي ذر [رأيت نورا] : أنه رأى الحجاب ومعنى قوله [نور أنى أراه] النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنى أراه ؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته ؟ فهذا صريح في نفي الرؤية وا أعلم .

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة .

وقوله : بغير إحاطة ولا كيفية - هذا لكمال عظمته وبهائه سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تحيط به كما يعلم ولا يحاط به علما قال تعالى : { لا تدركه الأبصار } وقال تعالى : { ولا يحيطون به علما } .

وقوله : وتفسيره على ما أراد ا وعلمه إلى أن قال : لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا

ولا متوهمين بأهوائنا أي كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية وذلك تحريف لكلام ا وكلام رسوله عن مواضعه فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة والفاسد المخالف له فكل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ فإن ا أنزل كلامه بيانا وهدى فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد لم يكن بيانا ولا هدى فالتأويل إخبار بمراد المتكلم لا إنشاء .

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه فإذا قيل : معنى اللفظ كذا وكذا كان إخبارا بالذي عنى المتكلم فإن لم يكن الخبر مطابقا كان كذبا على المتكلم ويعرف مراد المتكلم بطرق متعددة : منها : أن يصرح بإرادة ذلك المعنى ومنها : أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى فكيف إذا حف بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له كقوله : { وكلم ا موسى تكليما } و [إنكم ترون ربكم عيانا كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب] فهذا مما يقطع به السامع له بمراد المتكلم فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة كان صادقا في إخباره وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه ولا اقترن به ما يدل عليه فإخباره بأن هذا مراده كذب عليه وهو تأويل بالرأي وتوهم بالهوى .

وحقيقة الأمر : أن قول القائل : نحمله على كذا أو : نتأوله بكذا إنما هو من باب دفع دلالة اللفظ عما وضع له فإن منازعه لما احتج عليه به ولم يمكنه دفع وروده دفع معناه وقال : أحمله على خلاف ظاهره .

فإن قيل : بل للحمل معنى آخر لم تذكروه وهو : أن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره ولا يمكن تعطيله استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره على أن مجازه هو المراد فحملناه عليه دلالة لا ابتداء .

قيل : فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم أنه أراده وهو إما صدق وإما كذب كما تقدم ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره ولا يبين للسامع المعنى الذي أراده بل يعرف بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك ولكن المنكر أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح وإفهام مراده ! كيف والمتكلم يؤكد كلامه بما ينفي المجاز ويكرره غير مرة ويضرب له الامثال .

وقوله : فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم D ولرسوله A ورد علم ما اشتبه عليه إلى

عالمه أي : سلم لنصوص الكتاب والسنة ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة أو بقوله : العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل ! والعقل أصل النقل ! ! فإذا عارضه قدمنا العقل ! ! وهذا لا يكون قط لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك : فان كان النقل صحيحا فذلك الذي يدعى أنه معقول إنما هو مجهول ولو حقق النظر لظهر ذلك وإن كان النقل غير صحيح فلا يصلح للمعارضة فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدا ويعارض كلام من يقول ذلك بنظيره فيقال : اذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ورفعهما رفع النقيضين وتقديم العقل ممتنع لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول A فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضا للنقل لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الاشياء فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه وهذا بين واضح فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلا صحيحا وإذا لم يكن دليلا صحيحا لم يجز أن يتبع بحال فضلا عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحا في العقل .

فالواجب كمال التسليم للرسول A والإنقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولا أو نحمله شبهة أو شكا أو نقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم فنوحده بالتحكيم والتسليم والإنقياد والإذعان كما نوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل .

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب ا إلا بهما : توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا نحاكم الى غيره ولا نرضى بحكم غيره ولا نوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه تأويلا وحملا فقال : نؤوله ونحمله فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب - ما خلا الإشراك با - خير له من أن يلقاه بهذه الحال بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول ا A فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه ؟ ! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله من غير التفات إلى سواه ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان بل يستشكل الآراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل نهدر الأقيسة ونتلقى نصوصه ولا نحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ! ولا يوفق قبول قوله على موافقة فلان دون فلان كائنا من كان .

[قال الإمام أحمد : حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة

من أصحاب رسول ا A جلوس عند باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القران فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول ا A مغضبا قد احمر وجهه يرميهم بالتراب ويقول : مهلا يا قوم ! بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه] .

ولا شك أن ا قد حرم القول عليه بغير علم قال تعالى : { قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا با ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على ا ما لا تعلمون } وقال تعالى : { ولا تقف ما ليس لك به علم } فعلى العبد أن يجعل ما بعث ا به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرضه عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل وان لم يعلم : هل خالفه أو وافقه - يكون ذلك الكلام مجملا لا يعرف مراد صاحبه أوقد عرف مراده لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه - فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول وقد يكون علم من غير الرسول لكن في الأمور الدنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير